

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة في المسجد الحرام بمكة المكرمة

لفضيلة الشيخ : أسامة خياط

بتاريخ : ٢٦ - ٦ - ١٤٢٢ هـ

والتي تحدث فيها فضيلته عن : ابتغاء الدرجات العلى

الحمد لله الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، أحمده سبحانه نهى العباد عن سلوك كل طريق يُفضي إلى نار الجحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى طريق الجنة دار النعيم، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله وراقبوه، واعلموا أنكم ملاقوه؛ فيجزى كل نفس بما كسبت، يوم لا تُظلم نفس شيئاً، إنما هي الأعمال، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

أيها المسلمون:

إن طموح المرء إلى بلوغ الدرجات العلى وابتغائه الفضائل، وسعيه إلى اكتساب المحامد، وتطلعه إلى الأفضل والأكمل والأتمثل في حظوظ الدين والدنيا: برهان ساطع، ودليل واضح، وآية بينة على طيب جوهره، وكرم معدنه، وسلامة بنائه النفسي والعقلي، واستحقاقه الظفر بكل خير في العاجلة والعقبى، يرتفع بمقامه عن منازل ومسالك ساقطي الهمة، القاعدين عن طلب الخيرات، المحتضنين لرذيلة التواكل والكسل، المرتضين لأنفسهم بالعيش على هامش الحياة.

وعلى العكس من طموح أرباب الجد والمعالي: طموح فريق من الناس إلى ما لا يصح أن يطمح إليه الأريب، ولا يجوز أن تصبو إليه نفسه، أو يمتد إليه بصره، أو يتجه إليه سعيه، أو تتصرف إليه همته، كمثل من يطمح إلى اجتراح السيئات، واقتراف الخطايا، ومواقعة المحرمات التي حرمها الله ورسوله ﷺ، وحذرا من استباحة حماها، والتردي في وهدتها، وكمثل من يطمح إلى ما في يد غيره مما حباه الله من فيض النعم، ووافر الخيرات فيتمنى زوالها عنه، وانتقالها إليه بغير جد ولا عمل، بل حسداً وظلماً وعدواناً.

ولذا كان من رحمة الله بعباده وجميل إحسانه إليهم ما منّ به عليهم في هذا الدين من المناهج والشرائع التي أوضح بها معالم الطريق للسالكين، فوجّه الأنظار إلى أقوم السبل، وأعدل الطرق، وبين لهم أكمل

الخصال، وأرفع المثل؛ للتجافي عن هابط المنازع ووضع المناحي وقبيح الخلال؛ فنشر ألوية السلام الاجتماعي بين أفراد الأمة المسلمة بتهيئة الفرص لكل منهم مع النظر إلى التكوين والمواهب والقدرات التي يتفاوت فيها الناس وتتباين حظوظهم منها.

وبذا كان في مُكنة كل ذي عقل أن يستيقن أن في السعي إلى المطامح التي لا مشروعية لها إيذاءً بالغاً للنفس، بتكدير صفو العيش وتنغيص متع الحياة وازدراء نعمة الله بالتنقص لها، وعدم الشكر لوأهبها، ثم ما يتبع ذلك غالباً من اصطلاء بسعير الصراع المدمر لكل المرتكزات والثوابت، الباعث على كل الشرور والبلايا.

وفي ذلك كله من إضاعة العمر الشريف والزمان الغالي بالأماني والأحلام التي لا طائل من ورائها في ذلك ما لا يذهب عن أولي الألباب.

ولذا فإنه حين استشرّف بعض النساء في عهد النبوة إلى الخطوة ببعض ما خص به الرجال فتمنين أن يكون لهن نصيب من الجهاد؛ لحفظ الذمار والذود عن الحق، ونشر الهدى وأن يكون لهن مثل ما للرجال من الميراث، وتمنى الرجال أن يفضلوا على النساء بحسناتهم كما فضلوا عليهن بالميراث، صرف سبحانه كلا الفريقين عن هذه الأماني إلى ما هو أنفع لهما، وذلك هو الكسب في المضمار الصالح الملائم لكل منهما في حدود ما اختص به، وجعل لهما نصيبهما من حسن الثواب، وحثهما على سؤاله سبحانه من واسع فضله، فإنه الكريم الوهاب، فقال سبحانه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا عباد الله: لقد ظن فريق من الناس أن النهي الوارد في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] الآية؛ معارضٌ لما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل)).

والحق -يا عباد الله- أنه لا تعارض بينهما، فإن المراد بالحسد في الحديث: الغبطة، وتمني مثل ما للمنع عليه، وذلك مباح لا حظر فيه، أما المنهي عنه في الآية فهو تمني نفس النعمة وانتقالها عن صاحبها وزوالها عنه، وذلك هو المحذور الذي حظرته الآية، فاتفقت بذلك الآية والحديث واجتمعا. ألا فاتقوا الله -عباد الله- واحرصوا على الاستمسك بهدي الوحيين تكونوا من المفlichen.

وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى، وعن سائر الآل والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، ودمر أعداء الدين، وسائر الطغاة والمفسدين، وألف بين قلوب المسلمين، ووحّد صفوفهم، وأصلح قاداتهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وعبادك المؤمنين، اللهم انصر المجاهدين لنصر دينك وإعلاء كلمتك في كل مكان، اللهم انصرهم في فلسطين وكشمير والشيشان، اللهم عليك باليهود الطاغين، اللهم اشدّد وطأتك على اليهود، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزم هؤلاء اليهود الطاغين وزلزلهم واجعل الدائرة عليهم، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل تدبيره تدميره يا رب العالمين، اللهم آمانا في أوطاننا، وأصلح ووفق أئمتنا وولاة أمورنا، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا وهيئ له البطانة الصالحة ووفقه لما تحب وترضى يا سميع الدعاء، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءت نقمتك وجميع سخطك، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠ ، ٩١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.